بشارة مريم:

يقول (لوقا) في إنجيله الأوَّل ما معناه:

في الشَّهر السَّـــادس -من حمل اليصابات ليوحنا- أرسل الله جبرائيل إلى مدينة النَّاصرة فـــي الجليل إلى مريم العذراء الَّتي كانت مخطوبةً في ذلك الوقت إلى يوسف من بيت داود. ولما ســـلَّم عليها الملاك اضطربت، وأوجست منه خيفةً، فهدأ من روعها، وبشَّرها بأنّها ستحبل، وستلد ابناً تسميه يسوع، وأنَّه سيكون عظيماً وابن العليّ يدعى.

وسمَّاه يوحنا في إنجيله (حمل الله الَّذي يرفع خطيئة العالم)[1].

وسيورثه الإله عرش أبيه داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد. ولمَّا تســـاءلت مريم عن كيفية إتمام ذلك، وهي لا تعرف رجلاً، أجابها الملاك بأن روح القدس يحلُّ عليها، وقوَّة العلي تظلِّلها، وأن القدوس المولود منها يدعى ابن الله.

وضرب لها مثالاً على عدم اســـتحالة ذلك على الله، حَبَل الياصبات العاقر في شيخوختها[2].

(١) إنجيل يوحنا: ١/ ٢٩.
(٢) إنجيل لوقا: ١/ ٢٦-٥٦.

وعن الموضوع نفســه تحدث القرآن الكريم حديثاً شاملاً كاملاً، قال تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم:١٦-٢١].

وفي موضعٍ آخر من القرآن قال الله تعالى:

﴿ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧].

هذا ما جاء عن بشارة مريم ابنة عمران في الإنجيل والقرآن، وعند الموازنة بينهما نلاحظ ما يأتي:

ذكر الإنجيل أن مريم كانت مخطوبةً قبل ان تحبل بعيسى عليه السلام إلى يوســف من آل داود ولقبه النَّجَّــار ؛ لأنَّه كان يمتهن حرفة النِّجارةِّ، وأن مريم تابعة ليوســف في كل أمورها اتِّباع الزَّوجة لزوجها، إلا أنَّه - كما قال (متى) في إنجيله - (لم يمسَّها حتَّى

ولدت ابنها البكر وسمَّاه يسوع[1]. وإلا فهي تتبعه، حيث ذهب وتقيم معه حيث أقام.

وكان قد وجدها حُبْلَى عندما تَمَّت خطبته عليها، وهمَّ بتركها سرّاً؛ لئلا يفتضح أمرها، لولا أنَّه رأى في الحلم ملاك الرَّب يخبره بأنَّ حملها الَّذي في بطنها هو من الرُّوح القدس.

ولم يتطرَّق الإنجيل إلى ذكر أهل مريم، وكيف كان موقفهم حيال ظروف حملها الغامض؟ وكيف كان موقفها هي أمام هذا الظَّرف العصيب مع قومها؟ بل يبدو من حديث الإنجيل أنَّ مسألة حمل مريم وولادتها مرتا مروراً عابراً لم يستنكرهما أحدٌ من القوم، ربما كان ذلك لما توهَّموه من وجود علاقة شبه شرعية بين مريم ويوسف النَّجَّار جعلت للموقف تبريراً عند القوم، على الرغم من أنَّها لم تكن مبنية على عقد زواجٍ صحيحٍ، وإنَّما كانت خطبةً. وفي ذلك كما لا يخفى ما يُشين سمعة مريم، ويجعلها موضع شكٍّ للجميع، ويلبسها العار، ويحطُّ من مكانتها بوصفها أمّاً لنبي من أنبياء الله، وهي الَّتي امتدحها الله في كتابه العزيز القرآن، وامتدح عفَّتها بقوله تعالى:

(١) إنجيل متى: ١.

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢].

ومريم في القرآن العظيم بعيدة عن كلِّ شبهةٍ أو ريبة، فالله قد كفَّلها زكريا عليهِ السَّلام نبيّاً من أنبيائه عليهم السَّلام، مثلٌ أعلى في قومه للتَّقوى والصَّلاح منذ طفولتها، وقد كانت هي مثال المرأة الصالحة، وكما أمرها ربُّها قانتة له وساجدة وراكعة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

هذه مريم في الإطار القرآني مصونة عن عبث العابثين وبعيدة عن كل مَظِنَّة، وهذا هو الحقُّ الَّذي لا ريب فيه من ربِّ العالمين.

وجاء في الإنجيل أنَّ عيسى ابن مريم يُدْعَى ابن الله العلي. بينما القرآن الكريم وصفه بأنَّه عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

يقول صاحب كتاب (المسيحية نشأتها وتطوُّرها) ما نصُّه:

(...والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أنَّ عيسى لم يَدَّعِ قط أنَّه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه: إنَّه

ابن الله... كذلك لا يسمح لنا أي نصّ من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى. فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الَّذين تأثَّروا بالثَّقافة اليونانية، إنَّها اللُّغة الَّتي استخدمها القديس (بولس) كما استخدمها مؤلّف الإنجيل (يوحنا) وقد وجدا فيها معاني عميقة، وعلى قدر كافٍ من الوضوح بالنّسبة إليهما[1].

ويقول مُعَرّب الكتاب تعليقاً على ذلك في الحاشية ما يأتي:

(والكلمة العبرية (عَبد) كثيرا ما تُتَرجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادماً) و(طفلاً) على حدَّ سواء. وتطوُّر كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم لفكري اليوناني[2].

وجاء في الإنجيل عن عيسى ابن مريم أنَّه مَلِكٌ على آل يعقوب، ورَّثَه الله على عرش أبيه داود.

(١) راجع كتاب المسيحية نشأتها وتطوُّرها تأليف شارل جنيبير (رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس) تعريب الدَّكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر. منشورات المكتبة العصرية صيدا -بيروت- ص٣٩.

(٢) المرجع نفسه.

وجاء في إنجيل (متى) (وفيما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنُّون في المسيح، ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. فقال لهم: فكيف يدعـــوه داود بالرُّوح ربّه، حيث يقول: قال الرَّب لربِّي: اجلس عـــن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدمك؟. فإن كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون هو ابنه[1]؟.

واضحٌ من نصّ (متى) أنَّ المسيح عليه السلام ينفي القول: إنَّه ابن داود، وكما أراد كاتب الإنجيل فهو يَدَّعي أنَّه ربٌّ لداود.

وفي الحوار الَّـــذي جرى بين (بيلاطس) وبين المســـيح عليه السلام عندمـــا ســـأله إن كان هو ملـــك اليهود؟ أجاب قائـــلاً: (أنت قلت)[2]. يظهر منه أنّ المســـيح لم يعترف بكونه ملكاً ذا سلطةٍ زمنيةٍ على اليهود.

قال صاحب كتاب (حياة يسوع) ما نصُّه:

ســـأل (بيلاطس) يسوع: أمذنبٌ أنت، أم غير مذنبٍ، أأنت ملك اليهود؟

---

(١) إنجيل متى: ٢٢/ ٤٢-٤٥.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٣.

أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عنّي؟ هل تسأل عن دعواي المَلَكِيَّةِ في عرفك أنت أم تشير إلى تقارير اليهود عن ادّعائي بأنّي المسيا؟

فيجيب (بيلاطس) ألعلّي أنا يهودي أمتك ورؤساء الكهنة أسلمك إلي، ماذا فعلت أأنت ملك؟.

أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلَّم إلى اليهود، ولكنَّ الآن ليست مملكتي من هنا.

ولكن (بيلاطس) يطلب جواباً صريحاً، فيقول: مملكتي، أفأنت إذاً ملك؟

أجاب يسوع: نعم، أنا ملك، ملك المجاهدين السَّاعين وراء الحقّ، وكل من هو من الحقّ يسمع صوتي[1].

من هذه المحاورة الَّتي نسبها صاحب كتاب (حياة يسوع) إلى المسيح عليه السلام، يظهر لنا أنَّ النَّصارى يؤوِّلون مُلْك المسيح على أنَّه مُلْكٌ روحي ذو سلطةٍ دينية، فمن المستبعد أن يكون

(١) راجع كتاب حياة يسوع لبترسون سميث تعريب حبيب سعيد، ص ٣١٥.

العرش الَّذي سيورثه الإله -بزعمهم- للمسيح هو عرش داود الملك والنَّبي عليه السلام؛ لأنَّ داود وسليمان قد مارسا الملك ممارسةً فعلية وقد تمتَّعا بجانب كونهما نبييَّن رسولين بالسُّلطة الزَّمنية.

وإنَّما أراد اليهود من القول: إن المسيح عليه السلام مَلِك ذو سلطة زمنية، أن يوقعوا بينه وبين (هيرودس) الملك، ويوغروا صدره، ليقضي عليه وعلى دعوته الَّتي أقلقت اليهود كثيراً، وجعلتهم من بزوغ فجرها لا يفتؤون يكيدون له ولدعوته، وهم يعلمون أنَّ (هيرودس) يكره المسيح منذ اللَّحظة الَّتي سمع بمولده إذ إنَّ الكهنة قد أخبروه قبل مولد المسيح بأنَّ نبيّاً من بني إسرائيل سيقضي على ملكك، فعندما أخبره المجوس بعد ذلك بأنَّ نجم يسوع ظهر في المشرق، ممَّا يدلُّ على مولده فعلاً، اضطرب؛ لأنَّه كان يخشى على نفسه وعلى ملكه منه.

فما كان منه إلا أن تحقَّق من المجوس صحَّة مقالتهم، وطلب منهم الذَّهاب إلى بيت لحم؛ ليتحقَّقوا من وجود الصَّبي فيخبروه، ولكنَّهم بعد أن تحقَّقوا من ذلك خذلوه؛ لأنَّه أوحي إليهم في المنام أن (هيرودس) ينوي قتل الصَّبي، فلم يعودوا إليه كما وعدوا.

وعندما علم (هيرودس) بذلك وتحقَّق من مولد المسيح أمر بقتل كل صبيٍ في بيت لحم لم يتجاوز سنتين من عمره ؛ لأنَّ هذه الفترة هي الَّتي مرَّت بين لقائه بالمجوس وبين علمه بخذلانهم له[١].

(وهيرودس) أيضاً هو الَّذي قتل يحيى بن زكريا عليهما السَّلام، فعندما سمع بعيسى ودعوته ظنَّ أنَّ يحيى قد قام من الأموات[٢].

(فهيرودس) إذاً يتمنَّى هلاك المسيح عليه السلام، فاستغلَّ اليهود هذا الجانب في مَلِكِهِم عندما أرادوا أن يتخلصوا من المسيح وعودته.

وفي محاولة من محاولاتهم الإيقاع به عند قيصر الإمبراطور الرُّوماني، الَّذي يُعدّ (هيرودس) الملك تحت سلطته، سألوه ذات مرَّة عن جواز إعطاء الجزية لقيصر؟. فأجابهم بقوله: (أوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)[٣].

فأشار بذلك إلى أنَّ قيصر يمثّل السُّلطة الزَّمنية في نطاق سلطانه، وما يُشَرِّع من قوانين وأنظمة. وأمَّا الجوانب الروحيّة

(١) إنجيل متى: ٢.
(٢) إنجيل متى:١٤.
(٣) إنجيل متى:٢٢/ ١٦.

وما يتعلَّــق بها من أمور الدِّيــنُ فإنَّ المحافظــة عليها والقيام بأدائهــا كما يجب إنَّما يكون ابتغــاء مرضاة الله، ووفق ما جاء عنــه. وفي قول المســيح هذا دليــلٌ على أنَّــه كان يتجنَّب ما اســتطاع الخوض في أمور السُّــلطة الزَّمنية؛ ليحمي نفسه من كيد أعدائه.

يحيى عليه السلام:

تسمِّيه الأناجيل (يوحنا المعمدان) أي: الَّذي يقوم بمهمَّة التَّعميد، وهي الغسل بماء نهر الأردن لكلّ مولود في اليهودية، للتَّوبة من الخطايا، والتَّطهير من الذُّنوب على ما ســيكون منه، وللرَّاشــدين على ما كان منهم. حتَّى إنَّ عيسى ابن مريم نفسه جاء إليه من الجليل إلى الاردن؛ ليتعمد منه[1].

وكان (يوحنا) -كما جاء في الإنجيل- يسكن البرية، ويأكل الجراد، ويلبس وبر الإبل، ويتمنطق بالجلود، اتَّخذ له بالقرب من نهــر الأردن مكاناً يأتيه اليهود فيــه؛ ليتعمدوا منه معترفين بخطاياهم[2].

(١) إنجيل متى: ٣/ ١٣.
(٢) إنجيل متى:٣/ ٦.